موقف الإسلام

من التيارات الفكرية المعاصرة

والأفكار المختلفة

سلسلة إصدارات مركز ثوابتنا (الوسطية سابقاً)
للاستشارات التربوية والتعليمية
[٤١]

ثوابتنا
مركز ثوابتنا للاستشارات التربوية والتعليمية

موقف الإسلام من التيارات الفكرية المعاصرة والأفكار المختلفة

لمعالي الشيخ الدكتور
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

أعده للنشر
فهد بن إبراهيم الفعيم

دار كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

الفوزان، صالح بن فوزان

موقف الإسلام من التيارات الفكرية المعاصرة والأفكار المختلفة،

/صالح بن فوزان الفوزان؛ فهد إبراهيم محمد الفعيم، الرياض، ١٤٣٣هـ.

٤٤ صفحة؛ ١٤×٢٠سم

ردمك: ٨-٠٤-٨١٢٤-٦٠٣-٩٧٨

١- الغزو الفكري ٢- العقيدة الإسلامية

أ. الفعيم، فهد إبراهيم محمد (محقق) ب- العنوان

ديوي ٢١٩.٩ ١٤٣٣/٨٣٧٠

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٨٣٧٠

ردمك: ٨-٠٤-٨١٢٤-٦٠٣-٩٧٨

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص. ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٩١٤٧٧٦– ٤٩٦٨٩٩٤ فاكس: ٤٤٥٣٢٠٣

E-mail: eshbelia@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب

محاضرة بعنوان:

موقف الإسلام من التيارات الفكرية المعاصرة والأفكار المختلفة

ألقاها معالي الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان.

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم أما بعد :

التيارات الفكرية المعاصرة ما هي إلا امتداد لتلك الفرق والمناهج السابقة ؛ ففحوى الخطاب واحدة ؛ وإن تغيرت المسميات وزخرفت الأقوال والدعايات ؛ والعلماء بينوا حقيقة هذه التيارات وردوا على أدعيائها ؛ ومن هؤلاء العلماء معالي شيخنا الدكتور / صالح بن فوزان الفوزان ، فقد كان لفضيلته محاضرة قيمة بعنوان : (موقف الإسلام من التيارات الفكرية المعاصرة)؛ فقمت بتفريغها وإعدادها للنشر، وأجرى عليها حفظه الله بعض التعديلات مشكوراً مأجوراً .

وفي الختام أسأل الله أن ينفع بها وأن يجزي شيخنا خير الجزاء .

فهد بن إبراهيم الفعيم

الرياض ١١٣٦٥ ص ب ٣٩٠٤٨٤

Email:kere١٤٣٢@ gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إذن طباعة

الحمد لله وبعد: فقد أذنت للشيخ فهد بن إبراهيم الفعيم بطباعة محاضرتي: (موقف الإسلام من التيارات الفكرية المعاصرة) ليعم النفع بها -إن شاء الله- ويكون شريكا في الأجر. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

في ١٤٣٣/٧/٢٨هـ

الحمد لله وبعد: فقد أذنت للشيخ فهد بن إبراهيم الفهيد بطباعة محاضرتي:
(موقف الإسلام من التيارات الفكرية المعاصرة) ليعم النفع بها
إن شاء الله ويكون شريكًا في الأجر، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
في ١٤٢٢/٧/٢٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، أما بعد:

المذاهب الفكرية أو التيارات الفكرية المراد بها: تصورات الإنسان، وإدراكاته العقلية، ولاشك أن الله - سبحانه وتعالى - ميز هذا الإنسان بالعقل والتفكير، فقد أعطاه سبحانه وتعالى هذه الميزة ليدرك بها ما ينفعه، فيأخذ به، ويدرك ما يضره فيجتنبه، وهذا فضل من الله - سبحانه وتعالى - على الإنسان، ولكن العقل والتصور لا يكفي في إدراك الأمور ومعرفة الخير والشر، والسعادة والشقاوة، ولا يكفي في إدراك النافع والضار، فهو آلة في الإنسان، وهذه الآلة محدودة، كما أن طاقات الإنسان وقدراته محدودة، لا يدرك جميع الأمور فيقدر العواقب؛ ولذلك لم يكلنا الله - سبحانه وتعالى - إلى عقولنا وتصوراتنا وإدراكنا، وإن كان الله - سبحانه وتعالى - أمرنا بالتعقل والتدبر والتفكر، ولكنه هو الذي خلقنا فهو يعلم أن عقولنا وأفكارنا ومداركنا قاصرة لا تكفي.

فمن رحمته سبحانه وتعالى أنه أرسل إلينا الرسل مبشرين ومنذرين ومبينين للناس طريق الخير وطريق الشر، وأنزل الكتب على الرسل لهداية الأمم، هذا من رحمته سبحانه وتعالى، وهذا لمصلحة البشرية، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ لما أهبط آدم وزوجه إلى الأرض: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:٣٨]، وفي الآية الأخرى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾ [طه:١٢٣ـ ١٢٨]، أرسل الله ـ سبحانه وتعالى ـ الرسل، وأنزل الكتب لهداية البشرية إلى الصراط المستقيم، وأمرهم باتباع الرسل، باتباع الكتب المنزلة من عنده سبحانه وتعالى، وأن لا يعتمدوا على عقولهم ولا على أفكارهم وتصوراتهم.

نعم، هم يفكرون بها، فالله أعطاهم هذه العقول وهذه الأفكار ليتدبروا بها ما أنزله الله إليهم، فالعقل أداة تُعين على فهم ما أنزل الله سبحانه وتعالى، وما ذكر من الآيات الدالة على قدرته وربوبيته واستحقاقه للعبادة دون غيره، فالعقول لا تستقل لإدراك المنافع وإدراك المضار، وتمييز الخبيث من الطيب، ولكن يُستعان بها على فهم ما أنزل الله - سبحانه وتعالى - على رسله، ويُستعان بها كذلك على الابتكارات والاختراعات التي يستفيد منها الناس في حياتهم.

فإذا كان بمقدور الإنسان أن يخترع آلة أو يصنع صناعة يستفيد منها الناس في حياتهم، فإنه ليس بمقدوره أبدًا أن يدرك الأمور والمستقبل، أو أن يعرف الضار من النافع معرفة تامة، وإن كان يعرف ذلك معرفة مُجملة، ولكن التفاصيل لا يدركها مهما أوتي من العقل والتفكير، ولا يدرك المغيبات والمستقبل، فهذا شأن لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، فهو الذي يعلم كل شيء، يعلم ما كان وما يكون؛ ولذلك أرسل الرسل لهداية الخلق إلى الطريق الصحيح، والمنهج السليم، والتفكير النافع، والتعقل المفيد، وبدون الرجوع إلى ما كان عليه الرسل وأتباعهم وبدون الرجوع إلى الكتب المنزلة ؛ فإن البشرية تضل وتهيم فلا تصل إلى غاية، ولا إلى

نتيجة؛ لأن عقولهم محدودة كما أن قدراتهم وقواهم محدودة، فهي لا تعدو أن تفكر في محيطها الحاضر، ولكنها لا تدرك المستقبل ، و لا تدرك عواقب الأمور ونتائجها، وهي أمور لا تدركها العقول ولا الأفكار إنما هذا يُدرك بالوحي المنزل من الله سبحانه وتعالى.

فالأفكار والمناهج الفكرية من صنع البشر، وهي قاصرة قصور البشر ولا تكفي، ولا يعتمد عليها، فلذلك لم يكلنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ إليها، ومن اعتمد عليها وأعرض عن الوحي ؛ ضل وغوى وهلك.

نحن نعلم إذا قرأنا التاريخ واستقرأنا ماضي الأمم، نعرف ما كانت عليه البشرية في الفترات الممتدة بين رسالات الرسل، فإذ اندرست آثار الرسالات؛ فإن البشرية تهيم وتضل وتضيع إلى أن يتداركها الله ـ سبحانه وتعالى ـ برسالة جديدة تردها إلى صوابها، وتذكرها بالطريق الصحيح الذي دَرَسَ من طول العهد، ولهذا تتابعت الرسل منذ هبط آدم إلى الأرض إلى أن ختمهم بنبينا محمد ﷺ ، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ [المؤمنون:٤٤]، يعني: متتابعة، كلما مات نبي خلفه نبي؛ لأن البشرية لا تصلح بدونهم، إلى أن ختمهم الله بمحمد ﷺ وبرسالته.

كانت الفترة التي بين عيسى عليه السلام آخر أنبياء بني إسرائيل وبين محمد ﷺ تزيد على أربعمائة سنة، أي تزيد على أربعة قرون، وقد غرقت البشرية في هذه الفترة في الكفر والضياع، واندراس آثار الرسالة وظهور دعاة السوء، فكانت الفترة التي بين عيسى عليه السلام وبين نبينا محمد ﷺ فترة جاهلية، فأهل الكتاب من اليهود والنصارى حرفوا الكتب المنزلة إليهم، التوراة والإنجيل، وأدخلوا فيهما ما ليس منهما، حتى أصبح الناس أو كثير من الناس لا يستفيدون من هذه الكتب الفائدة المطلوبة؛ لأنها حرفت، وغُيرت عن مواضيعها على أيدي المفسدين، وأصحاب الشهوات والرغبات البشرية.

هذا وصف أهل الكتاب الذين هم أهل علم ؛ فكيف بالأميين الذين ليسوا أهل كتاب من مشركي العرب ووثنية الأمم الذين ليسوا عندهم كتاب، بل يعتمدون على عاداتهم وتقاليدهم وما شرعه لهم آباءهم وأجدادهم، فهذا يعبد الحجر، وهذا يعبد الشجر، وهذا يعبد الشمس والقمر، وهذا يعبد الكواكب، وهذا يعبد التماثيل والصور.. ضياع في الديانات، فمنهم أمة ذات ديانة محرفة، وأخرى أمة ضالة لا تهتدي إلى صواب.

وغُيِّر دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، الذي كان باقيا في الحجاز على يد طاغية من طغاة العرب يقال له (عمرو بن لحي الخزاعي)، كان ملكًا وزعيمًا على قومه، فذهب إلى الشام للعلاج ورأى الناس هناك يعبدون الأصنام، فاستحسن هذه العبادة جلب الأصنام إلى أرض الحجاز، وانتشرت الأصنام في أرض الجزيرة، وملأت مكة - أم القرى - التي هي بلد الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، حتى صار على الكعبة المشرفة ثلاثمائة وستين صنمًا، وعلى الصفا والمروة أيضًا: إساف ونائلة، وحول مكة اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى.

هذه حال العرب في الجاهلية، وهذه حال أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن الوثنيين المجوس في أرض فارس وأرض العراق الذين يعبدون النار، كل هذا كانت تعج به أرض الجزيرة العربية وتعيش عليه البشرية، على أرض الله الواسعة؛ ولهذا يقول ﷺ: « **إِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**»[(١)].

أي: بقايا قليلة من أهل الكتاب اندرسوا قبل بعثته ﷺ، فالكفر غطى الأرض قبل بعثة محمد ﷺ، وغُيرت ملة إبراهيم عليه الصلاة

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

والسلام في أرض الحجاز، كما غُير كتاب الله: التوراة والإنجيل، فكانت البشرية بحاجة إلى بعثة رسول يرد الناس أو يرد من أراد الله له الخير إلى طريق الصواب، مما دعا به إبراهيم الخليل وإسماعيل - عليهما الصلاة والسلام - حينما كانا يبنيان الكعبة المشرفة: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٩]، عرف الخليل وإسماعيل - عليهما الصلاة والسلام - حاجة أهل الحجاز وأهل مكة ومن جاورهم إلى بعثة رسول منهم، يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم.

فحينما استفحل الكفر والضلال والإلحاد في الأرض وهذه نتيجة لأفكار البشر وعقولهم ومناهجهم، فلو وكل الله البشر إلى عقولهم لصاروا إلى هذا المستوى، كما قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [المؤمنون:٧١]، ولكن الله برحمته يبعث في كل فترة رسولا من الرسل يرد البشرية إلى صوابها، ويبصرها بالطريق الصحيح، فكان آخر الرسل محمد ﷺ، وكانت البشرية آنذاك في أشد الحاجة إليه ﷺ، فبعثه الله - سبحانه وتعالى

- على حين فترة من الرسل ودروس من السبل، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة:١٥، ١٦]، وفي الآية الأخرى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [المائدة:١٩].

فبعث الله محمدًا ﷺ في هذا الوقت العصيب، وقد أظلمت الأرض من الكفر والشرك والإلحاد، ولم يبق فيها من دين الأنبياء إلا الشيء القليل، فدعا إلى الله - سبحانه وتعالى - ، دعا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة الأصنام، ورجوعهم إلى دين أبيهم إبراهيم الخليل، دين التوحيد الخالص لله عز وجل، وأنزل عليه القرآن العظيم الذي لم ينزل كتاب أحسن منه، ولم تعرف البشرية كتابا مثل القرآن العظيم، فهو أعظم الكتب؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - أراد لهذا الكتاب أن

يبقى إلى آخر الدنيا، وأن يكون هذا الكتاب للناس جميعًا، لا لأمة أو طائفة من الناس، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان:١].

فرسالة الرسول محمدﷺ إلى البشرية، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨]، وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:٢٨].

والكتاب الذي أنزله عليه هو لجميع البشرية، بل هو للثقلين: الجن والإنس، إلى أن تقوم الساعة؛ ولهذا تكفل الله بحفظه، فبقي القرآن وسيبقى كما أُنزل على محمد ﷺ، لم يغير ولم يبدل ، كما غيرت الكتب السابقة، فهو محفوظ بحفظ الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

فدعا الناس لدين الله، وتلا عليهم كتاب الله، فبان الحق واتضح، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء:٨١، ٨٢].

فآمن بالرسول ﷺ وبهذا القرآن من أراد الله له الهداية فرادى ثم تكاثر أتباعه ﷺ حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، فعم دينه الجزيرة العربية في حياته ﷺ، ثم انتشر إلى المعمورة خارج الجزيرة في أرض فارس والروم، فدخل غالب أهل الأرض في دين الله عز وجل. وسار دينه ﷺ مسير الشمس والقمر، مسير الليل والنهار، كما قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣]، فانتشر هذا الدين، وعم جميع الأرض مشارقها ومغاربها بواسطة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، والجهاد في سبيل الله، ونشر العلم في الأرض، حتى انتشر هذا الدين انتشارًا عظيمًا، وأصبح الناس تحت لواء هذا الدين آمنين مطمئنين من آمن به ومن دخل في عهده.

المؤمنون إخوة عربهم وعجمهم، إخوة في الإيمان، المؤمن أخو المؤمن، ومن لم يدخل فيه من اليهود والنصارى فإنه دخل تحت حكمه، وبذل الجزية للمسلمين، كما أمر الله - سبحانه وتعالى - بذلك، قال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ

ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة:٢٩].

فعاشوا جميعا تحت ظل الإسلام: المسلمون جماعة واحدة عربهم وعجمهم، غنيهم وفقيرهم، ذكورهم وإناثهم، شرقيهم وغربيهم، كلهم جماعة واحدة، وأسرة واحدة، ومنهجهم واحد وليس هناك مناهج مختلفة ولا أفكار متصارعة، ولا مناهج فكرية كما تسمى، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فأصبح المؤمنون ـ على كثرتهم وانتشارهم في الأرض ـ إخوة متحابين متناصرين رغم اختلاف ألسنتهم، واختلاف ألوانهم وأوطانهم، وتباعد بلادهم، كانوا إخوة، أمة واحدة، على منهج واحد، لا على مناهج وأفكار مختلفة كما كان من قبل، كما قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٣].

هكذا ألف الله ـ سبحانه وتعالى ـ بين القلوب، وجمعها وأذهب ما فيها من الغل، والحقد، والبغضاء، وأحل محل ذلك المحبة بين المسلمين ، كما قال ﷺ: « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ»[1] ، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات:١٣]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال:٦٢، ٦٣]، ألف بينهم بأي شيء؟ بهذا الدين، ولا يمكن أن يؤلف بين القلوب إلا هذا الدين لا في أول الزمان، ولا في آخر الزمان، لا يؤلف بين القلوب إلا الدين الصحيح، والعقيدة الصحيحة الخالصة التي جاءت بها الرسل ، ونزلت بها الكتب.

---

(١) أخرجه أبوداود (٥١١٨).

فلا يمكن أن يجتمع الناس وأن تذهب عنهم الصراعات والخلافات إلا بهذا الدين، كما قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»، والذي أصلح أولها هو هذا الدين، الكتاب والسنة، ولا يصلح آخر هذه الأمة، ولا يذهب هذه الأفكار المتصارعة التي على الساحة اليوم إلا الدين الصحيح، والعلم النافع، والفقه في دين الله عز وجل، الذي أصلح الله به بين المهاجرين والأنصار، وأصلح به بين المسلمين في مختلف الأقطار، الذي دخل تحته العرب والعجم، والسود والبيض، والأغنياء والفقراء، الذي أصلح أول هذه الأمة هو الذي يصلح آخرها؛ ولهذا أرشدنا الرسول ﷺ عند الاختلاف في الأفكار، والمناهج، والمسائل الفقهية، والمعتقدات، أرشدنا ﷺ إلى الرجوع إلى سنته ﷺ، والرجوع إلى سنة خلفائه الراشدين المهديين، قال ﷺ لما طلب منه أصحابه أن يوصيهم كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ عرفوا منها أن أجل الرسول ﷺ قد اقترب، وأنه يودعهم بهذه الموعظة،

فقال ﷺ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1].

هكذا يرشد النبي ﷺ إلى الرجوع إلى ما يزيل الخلاف ويقطع دابر النزاع، وهو الرجوع إلى سنته ﷺ، وتحكيمها والأخذ بها، وترك ما خالفها من المناهج والأفكار والآراء والعقليات وسنة الخلفاء الراشدين، فإن لم نفعل هذا فلا يمكن أن يزول الخلاف أبدًا، قال ﷺ: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدهما: كِتَابَ الله ، وَسُنَّتِي»[2] ، الرسول ﷺ بشر يموت، كما يموت غيره من البشر، ماتت الرسل من قبله ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ [الأنبياء:٣٤]، وقال: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأنبياء:٣٥]، وقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر:٣٠]، فالرسول ﷺ يموت، ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ حي لا يموت، كما قال أبوبكر رضي الله عنه: (من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد

---

(١) أخرجه أبوداود (٤٦٠٩).

(٢) أخرجه الحاكم (١ / ١٧٢).

مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وتلا هذه الآية: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ الآية ، وإذا مات الرسول ﷺ فقد ترك لنا المنهج الذي نسير عليه في حياتنا، ولا نضل أبدًا وهو كتاب الله، وكتاب الله موجود بين أيدينا ـ والحمد لله ـ وهو الذي أنزل على محمد ﷺ ولم يغير ولم يبدل، وسنة رسول الله ﷺ، وسنته حية وموجودة، ومدونة ولله الحمد، فعندنا ما نعتصم به من الاختلاف، والتفرق، والتشتت، وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد قال ﷺ: «تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»[1]، والله تعالى لم يتوفَ الرسول ﷺ حتى أكمل الله به الدين، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

فالدين ـ ولله الحمد ـ متكامل وهو موجود بكماله، وسيبقى بكماله إلى أن تقوم الساعة، قال تعالى: ﴿ لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ ﴾ [الأنفال:٤٢]، فالذي يريد النجاة هذا دين محمد ﷺ، هذا كتاب الله، هذه سنة رسول الله ﷺ،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣).

إلى أين يذهب أصحاب الأفكار، وأصحاب المذاهب؟ إن كانوا يريدون النجاة، فطريقها واضح، وإن كانوا يريدون الغواية والضلال وإضلال الناس، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ لهم بالمرصاد، والله ـ سبحانه وتعالى ـ في كتابه يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء:٥٩]، هذا ما أوصى به الرسول ﷺ فقد قال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِى فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِى** »، والله يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء:٥٩]، فالحديث مطابق للآية تمامًا، فالله أمر بالسمع والطاعة لولاة أمر المسلمين؛ لأن هذا ما تجتمع به الكلمة، وتقوى به الشوكة،وتجتمع به الجماعة، ويقوم به الجهاد في سبيل الله، وترد الحقوق للمظلومين، وتقام الحدود، ويستتب الأمن، وتحفظ البلاد والثغور، كل هذا بطاعة ولاة أمور المسلمين، ففيها مصالح عظيمة، قوله: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلاً ﴾ ، الرد إلى الله هو الرد إلى كتاب الله، والرد إلى

الرسول ﷺ في حياته هو الرجوع إليه ﷺ، وأما بعد وفاته فالرد إليه هو الرجوع إلى سنته، فكأن الرسول ﷺ موجود معنا، والحمد لله، وأهل العلم هم الذين يَخْلفون الرسول ﷺ في بيان الكتاب والسنة وتوضيحهما للناس، والحكم بين الناس بما أنزل الله، فالرجوع إلى الكتاب والسنة يكون عن طريق أهل العلم، الذين يفهمون مدلول الكتاب ومدلول السنة، يقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى:١٠].

فالله أنزل علينا القرآن ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، فالقرآن لم ينزل من أجل التلاوة فقط، أو من أجل تحسين الأصوات به والتلذذ بسماع القارئ، نعم هذا شيء مطلوب ولكن الغاية اتباع الكتاب والعمل بما فيه، أما التلاوة والقراءة فهما وسيلة للعمل، ووسيلة للتطبيق، بعض الناس يفهم من هذه الآية: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾، وقوله: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ يفهم أن هذا مقصور على الحكم في الخصومات بين الناس في الأموال والممتلكات، وهذا من تفسير الآية، غير أنه هناك ما هو أهم منه من الآية.

فالاختلاف أكثر مما يفهمه بعض الناس، فبعض الناس يفهم أنه لا يُرد إلى الكتاب والسنة إلا في الخصومات بين الناس في أموالهم ونزاعاتهم وخصوماتهم، وهذا فهم قاصر؛ لأن الاختلاف الذي يجب أن يرد إلى الكتاب والسنة أكثر وأخطر من هذا، أخطر من الاختلافات في الأموال والاستحقاقات. فالاختلاف في المناهج والأفكار، والاختلاف في المسائل الفقهية والاستنباط، والاختلاف في العقائد، كل ذلك أخطر من اختلافهم في أموالهم.

فهناك خلاف أخطر من أن يختلف الناس في شاة أو في بعير أو في بيت أو في مزرعة، وهو الخلاف في الأفكار وفي المناهج التي شتت الناس اليوم،كما شتتتهم في الماضي، ولم يحسم هذا النزاع ولم يرد الناس إلى طريق الصواب، ولم يقطع الطريق على المفسدين إلا الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فكتاب الله وسنة رسوله صلح عليهما سلف هذه الأمة، ولا يمكن أن يصلح آخر هذه الأمة إلا إذا صلح به أولها كما يقول الإمام مالك بن أنس رحمه الله.

فالواجب علينا جميعًا الرجوع إلى كتاب الله ونبذ الخلافات والأهواء والتعصبات لفلان أو لعلان، أو لمنهج فلان، فلننبذ هذا كله ولنرجع إلى

كتاب الله وسنة رسوله، فما دل عليه الكتاب والسنة فهو الصحيح، وإن كان عليه عدونا، وما خالف الكتاب والسنة فهو الباطل، وإن كان عليه حبيبنا وصديقنا، الحق أحق أن يتبع.

ولابد من أن نفعل ذلك وإن لم نفعل، فإننا لا يمكن أن نقضي على هذا الاختلاف وهذا النزاع، ولا يمكن أن يقنع الناس ويوحد بين القلوب إلا الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]، وقال: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [النور:٤٧، ٤٨]، عندما يكون لهم الحق يأتون إليه مذعنين، ولا يقبلون حكم الله إلا إذا كان يوافق أهواءهم وشهواتهم، أما إذا خالف أهواءهم وشهواتهم فإنهم يعرضون عنه، ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ

ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٤٨-٥١]، سواء كان الحق لهم أم عليهم، يقولون: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ ﴾، ثم قال: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [النور:٥١، ٥٢].

هذا هو السبيل، والله تعالى يقول: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٣]، طبقوا هذه الآية على واقع الناس اليوم، لهم سبل ومناهج وأفكار ومذاهب ونحل وفرق ولكن سبيل الله واحد، وطريق الله واحد لا يتقسم ولا يتجزأ، طريق معتدل مستقيم، لا اعوجاج فيه ، فلتنظروا كيف أن الله وحد سبيله وعدد السبل؛ لأن السبل المخالفة للكتاب والسنة كثيرة، ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ﴾.

لاشك أن الإنسان الذي يسير على طريق واحدة مستقيمة لا يضل، ولكن الإنسان الذي يسير وأمامه سبل كثيرة متعددة، لا يدري أيها يتبع

وأيها الصحيح، ولا يدري أيها الصواب، ولكن سبيل الله واضحة لا انقسام فيها ولا اعوجاج.

فالذي يريد السلامة والنجاة عليه بصراط الله عز وجل، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما سار عليه سلف هذه الأمة، قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠]، قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ ﴾ أي: الذين اتبعوا السلف من المهاجرين والأنصار بإحسان، وصدق، بموافقة ومتابعة، هؤلاء هم الناجون، السالمون من الانحراف.

وقد أوضح النبي ﷺ معنى هذه الآية فخط خطا، وخط على جانبيه خطوطًا كثيرة، فقال عن الخط المعتدل: «هَذَا سَبِيلُ الله»، وقال عن الخطوط التي على جانبيه: «وَهَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»(١)، فكل المناهج والأفكار المخالفة لمنهج الله عز وجل سبل ضلال وعليها شياطين، والشياطين هم دعاة السوء من شياطين الإنس والجن،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤١٤٢).

يدعون الناس إلى هذه المذاهب الهدامة، وهذه الأفكار المنحرفة، كل منهم يقول: تعال معنا، اتبع المنهج الفلاني، اتبع الجماعة الفلانية، فكلٌ يدعوه، وأين يذهب المسكين، ولكن عندما تدعوه إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ يتضح أمامه الحق، ويتوحد أمامه الطريق، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء:٦٩].

أذكِّر بنعمة الله علينا في هذه البلاد، فهذه البلاد تعيش في نعمة لا توجد في غيرها من البلاد الأخرى، فيجب أن نشكر لله هذه النعمة؛ لأنها إذا كفرت النعمة زالت ، ولا نقول كمن قال تعالى عنهم: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾ [إبراهيم:٢٨، ٢٩]، هذه البلاد منَّ الله عليها بدعوة إمام مصلح هو الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله منذ أكثر من مائتي سنة، دعا إلى توحيد الله، ودعا إلى اتباع الكتاب والسنة، وجعل الله البركة في دعوته بسبب أن الله قيض له أنصاراً ساعدوه وقاموا بنشر دعوته ومؤازرته، وهم ولاة الأمور من آل سعود، ولاة أمور هذه البلاد من عهد

الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى وقتنا هذا. فهم يسيرون مع هذه الدعوة جنبًا إلى جنب، العلماء يبينون والولاة يقتدون، وهذه البلاد تعيش تحت هذه الدعوة في أمن وأمان، وخير واطمئنان إلى أن وصلت لوقتنا هذا، فأنعم الله على هذه البلاد بوفرة الأموال والأرزاق، واتباع الحق، وتحكيم الكتاب والسنة .

وإذا التفتنا يمينا وشمالا إلى من حولنا فلا يخفى علينا ما يعيشونه من الانقسام والاختلاف والضياع والخوف والقلق.

فهل حصلنا ما حصَّلناه من النعمة بذكائنا وبأفكارنا؟ هل حصلناه بقواتنا؟ ما حصلناها إلا بهذا المنهج السليم الموحد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

هذه البلاد من ذلك الوقت إلى اليوم وهي جماعة واحدة، تحت طاعة ولاة أمورهم، وتوجيه علمائهم. وهم جماعة واحدة حاضرتهم وباديتهم، وأغنياؤهم وفقراؤهم، وملوكهم ورعيتهم، كلهم جماعة واحدة ودينهم واحد، وعقيدتهم واحدة، ومنهجهم واحد، وحَّد بينهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فالسير على العقيدة الصحيحة السليمة التي هي الأصل وهي الأساس الذي يقوم عليه بناء الأمة، هذه نعمة نحسد عليها.

فعلينا أن نذكر هذه النعمة وأن نحافظ عليها، وأن نعمل على بقائها، وذلك بالتمسك بها، وشرحها للناس، وتعليم الناس أمور دينهم وعقيدتهم، وتذكيرهم بنعمة الله عز وجل، وتحذيرهم من الأفكار الهدامة، والمناهج الدخيلة والجماعات المخالفة التي لم تنفع في بلادها، فكيف تنفع في بلادنا!، فبلادنا ـ ولله الحمد ـ تعيش في نعمة واستقرار، وتسير على منهج سليم، مجتمعين عليها صغارنا وكبارنا، فلماذا لا نحفظ هذه النعمة؟ لماذا نستوحي الأفكار والمناهج من خارج هذه البلاد ونحن ـ ولله الحمد ـ على منهج سليم، وخط مستقيم، هل نريد التحول، هل نريد زوال هذه النعمة، هل نريد أن يصيبنا ما أصاب من حولنا، فلنتق الله عز وجل، ولنذكر هذه النعمة العظيمة، فإن النعمة إذا شكرت زادت وقرت، وإذا كفرت زالت وفرت، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٧].

نسأل الله ـ عز وجل ـ أن يوفقنا لمعرفة الحق، والعمل به، والاستقامة عليه، والثبات عليه إلى يوم نلقاه، غير مبدلين ولا مغيرين، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأسئلة

سؤال: كثير من الأسئلة تدور حول الجماعات كجماعة التبليغ وجماعة الإخوان وغيرها ، فنرجو من فضيلة الشيخ كلمة قصيرة عن هذه الجماعات؟

الجواب: ذكرت هذا أثناء الكلمة، نحن ـ ولله الحمد ـ لسنا في شك من منهجنا الذي نسير عليه، نحن على طريق واضح عاشت عليه أجيال في هذه البلاد، وماتت عليه أجيال، وجربت صلاحه ونفعه، فلنتمسك به ولنترك ما خالفه، ولا حاجة إلى أن نسمي الجماعة الفلانية فلسنا بحاجة إلى هذا فنحن نسير على هذا الخط الذي سار عليه علماؤنا وأجدادنا وآباؤنا وصلح عليه أمرهم، واستقام عليه دينهم، وحقنت به دماؤهم، وسلمت أموالهم، وعاشوا عليه آمنين مطمئنين، فلنسر على هذا المنهج.

وهذه الجماعة هي جماعة التوحيد، جماعة الدعوة إلى دين الله المتمثلة في علماء هذه البلاد، ونترك ما عداها من الجماعات سمها ما شئت، سمها تبليغية، أو إخوانية، أو سمِّها ما شئت، فاسماؤها لا تعنينا في شيء.

أنا أقول: نحن نسير على هذا الخط الذي سرنا عليه وجربناه ونترك ما عداه، مهما سمي ومهما حسن ومهما زور، نقول: ما كان فيه من خير فهو

موجود عندنا، ومهما كان فيه من شر فنحن لا نريد الشر، نحن نريد الخير، لا يلتبس أمر هذه الجماعات إلا على إنسان مضطرب الفكر، أما الإنسان البصير، فلا يختلط عليه أمر هذه الجماعات ، فكل ما خالف الحق فهو ضلال، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ﴾ [يونس:٣٢]، فما كان من خير فنحن نقبل الخير، وهذا الخير - ولله الحمد - موجود عندنا، وعلينا أن نقوم به وأن ننشره وأن ندعو إليه وأن نوضحه للناس، أما ما كان في تلك المناهج والجماعات من شر فنستعيذ بالله منه ولا نريده ولا نسمح له أن يدخل بلادنا، ويغير أفكارنا وأولادنا.

سؤال: كثير من الأسئلة تدور حول علاقة الشباب بالعلماء وما ينبغي للشباب نحو العلماء في بلادنا، لأن هناك من يتنقص كثيرا من العلماء الكبار، ويأخذ من أقوال الدعاة الشباب، فنريد توجيهًا حول هذا وفقكم الله؟

الجواب: إذا حصل الانفصال بين العلماء وبين الشباب ؛ حصل الخطر العظيم؛ لأن الشباب إذا انفصلوا عن علمائهم تولاهم دعاة السوء وصرفوهم عن الحق، كالذئب يحاول فصل الغنم عن الراعي من أجل أن يعبث بها، كما قال النبي ﷺ: « فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ

الْقَاصِيَةَ»[(١)] ، فالذي يخرج عن جماعتنا وعن منهجنا يتلقفه دعاة السوء، فعلى شباب المسلمين أن يرتبطوا بعلمائهم، وعلماء هذه البلاد - ولا نزكي على الله أحدًا - هم من خيرة الناس وأصلحهم - ولله الحمد - لأنهم نشؤوا على عقيدة سليمة، وتعلموا من مشائخهم علمًا صحيحًا، وتفقهوا في دين الله على يدي علمائهم، وعلماؤهم تفقهوا على من قبلهم وهكذا...

فالناس و- لله الحمد - على حق، فلا تذهبوا عن علماء هذه البلاد، فهناك فرق بين علماء هذه البلاد وعلماء غيرها، ونحن لا ننتقص العلماء الآخرين، ولكن أقول: إن علماءنا معروفون لدينا نثق بهم ونعرف أين تعلموا ومن أين أخذوا العلم وأين نشأوا، فهم معروفون لدينا، أما غيرهم من العلماء الآخرين فنحن لا نطعن فيهم ولكن نحن لا نعرف من أين أخذوا العلم، ولا نعرف أين تعلموا، ولا نعرف مستواهم العلمي، ولا نعرف مقاصدهم ونياتهم، فنحن نتوقف في أمرهم، ولا نطعن فيهم، ولا نسارع للثقة بهم من غير معرفة. فمن رواة الحديث من إذا كان مجهولاً لا تعرف حالته توقفوا عن الرواية عنه؛ لأنهم لا يريدون أن يجازفوا ويمنحوا الثقة لكل أحد ، من يعرفون ومن لا يعرفون، فالدين لابد أن

(١) أخرجه أبوداود (٥٤٧).

يؤخذ عن توثق وعن يقين وعن معرفة وبصيرة، فعلماء هذه البلاد حسب علمنا بهم أنهم - ولله الحمد - من خيرة العلماء، ولم يقصروا في تعليمنا ولا في توجيهنا، ولا في إرشادنا، فلماذا ننتقصهم ونزهد فيهم، ونلتمس العلم عند غيرهم، ونلتمس التوجيه من غيرهم، هذا خطر عظيم، وللعرب مثل يقولون فيه: (وجه تعرفه ولا وجه تنكره).

سؤال: هناك من الناس من يزهد في دروس العقيدة، ويقول: نحن مسلمون، ولسنا بكفرة أو مشركين حتى نتعلم العقيدة أو ندرسها في المساجد، فما توجيه فضيلتكم حيال هذا؟

الجواب: ليس معنى تدريس وتعليم العقيدة أننا نحكم على الناس في هذا البلد أنهم كفار، بل نحن ندرسها للموحدين من أجل أن يعرفوها تمامًا ومن أجل أن يعرفوا ما يناقضها وما يضادها، وكان حذيفة بن اليمان ﵁ الصحابي الجليل يقول: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»[1] ، ويقول عمر بن الخطاب ﵁ : «يوشك أن تنتقض عُرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية»، فنحن إذا درَّسنا العقيدة ليس المعنى أننا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦).

نحكم على الناس بالكفر، وإنما معناه أننا نريد معرفة العقيدة الصحيحة حتى نتمسك بها، ونعرف ما يضادها حتى نتجنبه، والله تعالى يقول لنبيه ﷺ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد:١٩].

فلابد للإنسان أن يتعلم ولا يكتفي بكونه مسلما، أنت مسلم والحمد لله، ولكن هل يعرف ما هو الإسلام؟ وما نواقض الإسلام التي إذا جهلها فإنه يوشك أن يقع فيها وهو لا يدري، وهو مسلم ولا يعرف أركان الإسلام ومنها ما تركه يقتضي الكفر، ومنها ما لا يقتضي الكفر! بل إن الكثير لا يعرف أركان الإيمان التي بينها الرسول ﷺ ولا يعرف شروط الصلاة، ولا أحكام الوضوء، ولا نواقض الوضوء، ولا يعرف أركان الصلاة ولا واجبات الصلاة، وكذا لا يعرف مبطلات الصلاة.

الإسلام ليس دعوى فقط، بل هو حقيقة ومعرفة، لابد من المعرفة والعلم والبصيرة؛ لأن الذي لا يعلم يقع في الخطر وهو لا يدري، مثل الجاهل الذي يسير في طريق ولا يعرفه وفيه أعداء وفيه سباع فيقع في الخطر وهو لا يدري، فلابد من تعلم التوحيد؛ لأن التوحيد هو الأساس، ولا يُزهد في تعلم التوحيد إلا أحد رجلين: إما جاهل، والجاهل لا عبرة

به، وإما مغرض مضل يريد أن يصرف الناس عن عقيدة التوحيد، ويريد أن يسدل الغطاء على عقائد المنحرفين، الذين ينتسبون إلى الإسلام عقائدهم فاسدة فهو يريد أن يسدل الستار عليهم، ليدخلوا مع الناس وهم أصحاب عقائد فاسدة ومنحرفة.

نحن نقول: نتعلم عقيدتنا من أجل أن نعرف العقيدة الصحيحة، ونعرف الدين الصحيح، يقول الله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٢]، ويقول الرسول ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[(١)] ، فمفهوم الحديث أن الذي لا يريد الله به خيرًا لا يفقهه في الدين، فمن يدعو إلى ترك تعلم العقيدة، فهو يمنع الناس من التفقه في الدين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فهذا إما جهل وإما تضليل.

سؤال: أنا طالب أدرس في كلية الطب، وأدرس الآن علوم طب النساء والولادة، فهل يجوز لي الكشف على النساء وحضور عمليات

---

(١) أخرجه البخاري (٧١).

التوليد، وكذلك حضور المحاضرات خاصة أن أغلبها يلقيها طبيبات، وماذا أفعل إذا كان التغيب عن هذه المحاضرات يعرضني لحرماني من دخول الامتحان، أفيدوني وجزاكم الله خيرًا؟

الجواب: مسألة مخالطة النساء والكشف على النساء فيه خطر على عرض الإنسان، وأنصح الطلاب أن يلتمسوا تخصصات بعيدة عن هذه الفتن، والتخصصات ولله الحمد كثيرة، ويتعلمون تخصصات مفيدة وليس فيها هذه الفتنة، وليترك تطبيب النساء للنساء، وتطبيب الرجال للرجال، نحن مسلمون ولله الحمد، فالواجب أن أمور النساء يتولاها طبيبات من النساء، وأن تتعلم النساء تطبيب النساء وتوليد النساء، ويتعلم الرجال طب الرجال وعلاج الرجال، هذا هو الواجب، وعند الضرورة إذا وقعت امرأة في مرض مخيف، أو ولادة متعسرة ويخشى على حياتها وليس هناك إلا طبيب رجل فلا مانع من أن يكشف عليها ويعالجها، فحالة الضرورة لها حكم، والله تعالى يقول: ﴿ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام:١١٩]، ويقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج:٧٨]، فإذا وقعت امرأة في خطر وليس هناك من يقوم بعلاجها من

هذا المرض الخطير إلا رجل، ولا يوجد امرأة متخصصة فلا مانع من ذلك بقدر الضرورة .

سؤال: بعض الناس يعيب على خطباء بعض الجوامع الدعاء لولاة الأمر على المنبر، فما توجيه فضيلتكم حيال ذلك؟

الجواب: العيب في من يقول ذلك ، فالخطباء إذا دعوا لولاة الأمور فهم على السنة ولله الحمد؛ لأن الدعاء لولاة الأمور من النصيحة لهم، وقد قال النبي ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»[1] ، وأعظم النصيحة الدعاء للمسلمين ولولاة أمورهم، والإمام أحمد رحمه الله كان يُعذب ويضرب من قبل الوالي، ومع ذلك يروى عنه أنه يقول: (لو أعلم أن لي دعوة مستجابة لتركتها للسلطان) والمشهور أن هذا القول للفضيل بن عياض رحمه الله؛ لأن السلطان إذا صلح أصلح الله به البلاد والعباد، فالدعاء لولاة الأمور أمر طيب، ومن عمل المسلمين. وما زال المسلمون يدعون لولاة الأمور على المنابر بالصلاح والهداية، وهذا من نفع المسلمين، مما يدل على نصح هؤلاء الأئمة لولاتهم، ونصحهم لأمتهم، قال ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ » قُلْنَا لِمَنْ قَالَ « للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥).

الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[١] ، ومن أعظم النصيحة لهم الدعاء لهم بالصلاح والاستقامة والهداية، وهذه سنة طيبة وعمل جيد، ولا ينكره إلا جاهل أو مغرض يريد الفتنة بين الناس. قال بعض السلف: «إذا رأيت الرجل لا يدعو للسلطان» فاتهمه يعني: بمذهب الخوارج.

(١) أخرجه مسلم (٥٥).

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
تقديم	٥
إذن بالطباعة........	٧
موقف الإسلام من التيارات الفكرية المعاصرة والأفكار المختلفة	٩
الأسئلة	٣٣
سؤال: كثير من الأسئلة تدور حول الجماعات كجماعة التبليغ وجماعة الإخوان وغيرها ، فنرجو من فضيلة الشيخ كلمة قصيرة عن هذه الجماعات؟	٣٣
سؤال: كثير من الأسئلة تدور حول علاقة الشباب بالعلماء وما ينبغي للشباب نحو العلماء في بلادنا، لأن هناك من يتنقص كثيرا من العلماء الكبار، ويأخذ من أقوال الدعاة الشباب، فنريد توجيهًا حول هذا وفقكم الله؟	٣٤
سؤال: هناك من الناس من يزهد في دروس العقيدة، ويقول: نحن مسلمون، ولسنا بكفرة أو مشركين حتى نتعلم العقيدة أو ندرسها في المساجد، فما توجيه فضيلتكم حيال هذا؟	٣٦

الموضـــوع	الصفحة

سؤال: أنا طالب أدرس في كلية الطب، وأدرس الآن علوم طب النساء والولادة، فهل يجوز لي الكشف على النساء وحضور عمليات التوليد، وكذلك حضور المحاضرات خاصة أن أغلبها يلقيها طبيبات، وماذا أفعل إذا كان التغيب عن هذه المحاضرات يعرضني لحرماني من دخول الامتحان، أفيدوني وجزاكم الله خيرًا؟ ٣٨

سؤال: بعض الناس يعيب على خطباء بعض الجوامع الدعاء لولاة الأمر على المنبر، فما توجيه فضيلتكم حيال ذلك؟ ٤٠

فهرس الموضوعات ٤٣